وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
UNIVERSITY OF ANBAR
كلية التربية /القائم
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

المادة : علوم القرآن
المرحلة : الثانية
مدرس المادة: الدكتور عبدالجبار حميد

محاضرات الكورس الثاني
للعام الدراسي2020/2019

المحاضرة الأولى:

مفهوم المحكم والمتشابه، ورأي العلماء في معنى المتشابه.

the first lecturer:

The concept of arbitrator and the like, and the opinion of scholars on the meaning of the similar.

أولاً: تعريف المحكم والمتشابه :

اخْتلفُوا فِي الْمُحكم والمتشابه.

فَقيل الْمُحكم مَا وضح مَعْنَاهُ والمتشابه نقيضه

وَقيل الْمُحكم مَا لَا يحْتَمل من التَّأْوِيل إِلَّا وَجها وَاحِدًا والمتشابه مَا احْتمل أوجها ويعزى هذا الرأي إلى أن ابن عباس ويجري عليه أكثر الأصوليين

وَقيل الْمُحكم مَا تَأْوِيله تَنْزِيله والمتشابه مَا لَا يدرى إِلَّا بالتأويل

وَقيل الْمُحكم مَا لم تَتَكَرَّر أَلْفَاظه والمتشابه الْقَصَص والأمثال

وَقيل الْمُحكم مَا يعرفهُ الراسخون فِي الْعلم والمتشابه مَا ينْفَرد الله بِعِلْمِهِ

وَقيل الْمُتَشَابه الْحُرُوف الْمُقطعَة فِي أَوَائِل السُّور وَمَا سوى ذَلِك مُحكم وَقيل غير ذَلِك

وَقَالَ جمَاعَة من الْأُصُولِيِّينَ الْمُحكم مَا عرف المرَاد مِنْهُ قيل وَلَو بالتأويل والمتشابه مَا اسْتَأْثر الله بِعِلْمِهِ كالحروف الْمُقطعَة وَهُوَ معنى قَول بَعضهم إِن الْمُحكم هُوَ المكشوف الْمَعْنى الَّذِي لَا يتَطَرَّق إِلَيْهِ إِشْكَال وَاحْتِمَال والمتشابه مَا يتعارض فِيهِ الاحتمال وَيجوز أَن يعبر بِهِ عَن الْأَسْمَاء الْمُشْتَركَة كالقرء وكاللمس المتردد بَين الْمس وَالْوَطْء وَقد يُطلق على ما ورود فِي صِفَات الله تَعَالَى مِمَّا يُوهم ظَاهره الْجِهَة والتشبيه وَيحْتَاج إِلَى تَأْوِيله.

يطلق المحكم في لسان الشرعيين على ما يقابل المنسوخ تارة وعلى ما يقابل المتشابه تارة أخرى فيراد به على الاصطلاح الأول الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ ويراد به على الثاني ما ورد من نصوص الكتاب أو السنة دالا على

معناه بوضوح لا خفاء فيه

الخلاصة:

نستطيع أن نقول: إن القرآن كله محكم، إن أردنا بإحكامه إتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق إليه الضعف في ألفاظه ومعانيه، وبهذ المعنى أنزل الله قوله الكريم: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} ، كما نستطيع أن نقول: إن القرآن كله متشابه، إن أردنا بتشابهه تماثل آياته في البلاغة والإعجاز، وصعوبة المفاضلة بين أجزائه، وبهذا المعنى أنزل الله قوله الحكيم: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ} فالإحكام والتشابه في كل من الآيتين السابقتين ليسا مثار بحثنا عن محكم القرآن ومتشابهه.

إنما يثير بحثنا هنا الآية السابعة في سورة آل عمران، إذ يقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} 3.

من الواضح في هذه الآية أن المحكم يقابل المتشابه، كما أن الراسخين في العلم يقابلون الذين في قلوبهم زيغ، وقد حمل هذا التقابل العلماء على تعريف كل من المحكم والمتشابه، فكثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعددت وجهات نظرهم1.

ولكن آراءهم تؤول في النهاية إلى أن المحكم هو الذي يدل على معناه بوضوح لا خفاء فيه, والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه. فيدخل في المحكم النص والظاهر. أما النص فلأنه اللفظ الذي وضع للمعنى الراجح المتبادر. ويدخل في المتشابه المجمل والمؤول والمشكل, لأن المجمل يحتاج إلى تفصيل, والمؤول لا يدل على معنى إلا بعد التأويل، والمشكل خفي الدلالة فيه لبس وإبهام.

ووضوح الدلالة في المحكم يغنينا عن البحث عنه، لأن قراءتنا له كافية لإفهامنا المراد منه، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الشيء, لكي نعرفه ثم نجتنبه فلا نتبعه كالذين في قلوبهم زيغ.

ثانياً: رأي العلماء في معنى المتشابه :

إن أكثر العلماء يذهبون إلى أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله, ويوجبون في الآية الوقف على اسم الجلالة، أما

الراسخون في العلم فقد انتهى علمهم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} .

لكن أبا الحسن الأشعري كان يرى أن الوقوف في الآية على قوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ، فهم على ذلك يعلمون تأويل المتشابه. وقد أوضح هذا الرأي أبو إسحاق الشيرازي3 وانتصر له فقال: "ليس شيء استأثر الله تعالى بعلمه، بل وقف العلماء عليه، لأن الله تعالى أورد هذا مدحا للعلماء، فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة".

وتوسط الراغب الأصفهاني فقسم المتشابه من حيث إمكان الوقوف على معناه إلى ثلاثة أضرب:

"ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك.

وضرب للإنسان أسباب إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة .

وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم. وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"

ولا ريب أن في رأي الراغب قصدا واعتدالا: فهناك بعض المسائل لا يعلمها إلا الله، وفي هذا المعنى يقول في دعائه: "أنت كما أثنيت على نفسك، ولا أحصي ثناء عليك"، والعلم بالغيب مما استأثر الله به، مصداقا للآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} 2. ولقد رأينا في بحث فواتح السور كيف أحيطت هذه الحروف بجو من التورع عن تأويل حقائقها، وعرفنا أن آراء العلماء فيها إنما كانت تدور حول حكمة وجودها لا حول كنه حقيقتها، ففي خفاء هذه الأمور وعجز الإنسان عن الوصول إليها ما يقلل من غروره ويخفض من كبريائه، ويحمله على أن القول: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} 3.

والآيات المتشابهة الواردة في صفات الله تعالى، كقوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} هي أهم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه .

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
UNIVERSITY OF ANBAR
كلية التربية /القائم
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

المادة : علوم القرآن
المرحلة : الثانية
مدرس المادة: الدكتور عبدالجبار حميد

محاضرات الكورس الثاني
للعام الدراسي2020/2019

المحاضرة الثانية

آراء العلماء في متشابه الصفات ، والحكمة من وجوده، ومنشأ التشابه.

The second lecture

The views of scholars on the similarities of attributes, the wisdom of its existence, and the origin of similarities.

أولا: آراء العلماء في متشابه الصفات: وللعلماء في متشابه الصفات مذهبان:

الأول: مذهب السلف، وهو الإيمان بهذه المتشابهات وتفويض معرفتها إلى الله تعالى. سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال: "الاستواء معلوم, والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني"2.

والثاني: مذهب الخلف، وهو حمل اللفظ الذي يستحيل ظاهره على معنى يليق بذات الله. وينسب هذا المذهب إلى إمام الحرمين3، وجماعة من المتأخرين.

ولتوضيح المذهبين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة في متشابه الصفات. فمن ذلك {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} 4، و {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} 5، و {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} 6، {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} 7، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} 8 {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} 1، {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} 2، {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} 3.

فالسلف ينزهون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه، ويؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله، ويفوضون علم حقائقها إليه، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوي بالتدبير من غير معاناة4. ومجيء الله على مجيء أمره5، وفوقيته على العلو لا في جهة6، وجنبه على حقه7، ووجهه على ذاته8، وعينه على عنايته9، ويده على قدرته 10، ونفسه على عقوبته 11.وهكذا يؤول الخلف –على هذا المنوال– جميع ما ورد من رضى الله وحبه وغضبه وسخطه وحيائه بحملها على أقرب مجاز، ويقولون: لا يراد من هذه الألفاظ إلا لازمها12.

ثانياً: الحكمة منه.

قيل وَالْحِكْمَة فِي الْمُتَشَابه الابتلاء باعتقاده فَإِن الْعقل مبتلى باعتقاد حَقِيقَة الْمُتَشَابه كابتلاء الْبدن بأَدَاء الْعِبَادَة

وَقيل هُوَ لإِظْهَار عجز الْعباد كالحكيم إِذا صنف كتاب أجمل فِيهِ أَحْيَانًا ليَكُون مَوضِع خضوع المتعلم لأستاذه وكالملك يتَّخذ عَلامَة يمتاز بهَا من يطلعه على سره وَلِأَنَّهُ لَو لم يبتل الْعقل الَّذِي هُوَ أشرف مَا فِي الْإِنْسَان لاستمر فِي أبهة الْعلم على التمرد فبذلك يسْتَأْنس إِلَى التذلل بعز الْعُبُودِيَّة والمتشابه هُوَ مَوضِع خضوع الْعُقُول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها

وَقَالَ الْفَخر من الملحدة من طعن فِي الْقُرْآن لأجل اشتماله على المتشابهات وَقَالَ إِنَّكُم تَقولُونَ إِن تكاليف الْخلق مرتبطة.

ولعل اشتمال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده، أن يكون حافزًا للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تقدرهم على فهم الآيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة التقليد، ويقرءون القرآن متدبرين خاشعين2.

ثالثاً: منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته

نعلم مما سبق أن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه أما تفصيلا فنذكر أن منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى معا.

فالقسم الأول وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء في اللفظ وحده منه مفرد ومركب والمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة غرابته أو من جهة اشتراكه والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة اختصاره أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه { وفاكهة وأبا } وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك { متاعا لكم ولأنعامكم }

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة لفظ اليمين في قوله سبحانه { فراغ عليهم ضربا باليمين } أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضاربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال { وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين } كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينها

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره قوله تعالى { وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء } فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه والأصل وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم وقيل إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فأنزل الله الآية ومعناه إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى أيضا وتبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه والإطناب فيه قوله جلت حكمته { ليس كمثله شيء } فإن حرف الكاف لو حذف وقيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل إلى ليس مثل مثله شيء وفيه من الدقة ما يعلو على كثير من الأفهام ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه قوله جل ذكره { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا } فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ قيما وما قبله ولو قيل أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان أظهر أيضا.

واعلم عزيزي الطالب أن مقدمة هذا القسم فواتح السور المشهورة لأن التشابه والخفاء في المراد منها جاء من ناحية ألفاظها لا محالة.

والقسم الثاني هو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده مثاله كل ما جاء في القرآن الكريم وصفا لله تعالى أو لأهوال القيامة أو لنعيم الجنة وعذاب النار فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه وما يكن فينا مثله ولا جنسه . واعلم أن في مقدمة هذا القسم المشكلات المعروفة بمتشابهات الصفات فإن التشابه والخفاء لم يجيء ناحية غرابة في اللفظ أو اشتراك فيه بين عدة معان أو إيجاز أو إطناب مثلا فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده.

القسم الثالث وهو ما كان التشابه فيه راجعا في اللفظ والمعنى معا، وهذا له أمثلة كثيرة منها قوله عز اسمه { وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها } فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم

على وجهه ، ورد أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر[1] نقب نقبا في ظهر بيته يدخل ويخرج منه وإن كان من أهل الوبر [2]خرج من خلف الخباء فنزل قول الله { وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون } فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لأن هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لا بد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا لتعذر فهمه.

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

[1] سكان البيوت المبنية
[2] هم البدو الذين يسكنون الخيام

المحاضرة الثالثة

التحريف مفهومه وأقسامه ورأي العلماء فيه.

The third lecture

Misrepresentation, its concept, its divisions, and the scholars' opinion on it.

التحريف لغةً:

حرف الشيء: طرفه وجانبه، وتحريفه: إمالته والعدول به عن موضعه إلى طرفٍ أو جانب. قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ))[1]. قال الزمخشري: "أي على طرفٍ من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثلٌ لكونهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم، لا على سكونٍ وطمأنينة"[2].

التحريف اصطلاحاً: أمّا التحريف في الإصطلاح فله معانٍ كثيرة بحسب أقسامه، ويمكن بيان التعريفات حسب كل قسم كما مدون في أدناه:

التحريف الترتيبي: أي نقل الآية من مكانها إلى مكان آخر، سواء كان هذا النقل بتوقيف أو باجتهاد على رأي من يقول بأنَّ الترتيب توفيقي كما بيناه في ترتيب الآيات والسور، لذلك كم من آية مكّية بين آيات مدنيّة، وبالعكس.

التحريف المعنوي: ويراد به حمل اللفظ على معانٍ بعيدة عنه لم ترتبط بظاهره، مع مخالفتها للمشهور من تفسيره، وهذا النوع واقع في القرآن، وذلك عن طريق تأويله من غير علم، وهو محرّم بالإجماع لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار"[3] وهو من التفسير بالرأي المنهي عنه، قال رسول الله (ﷺ): "من فسَّر القرآن برأيه وأصاب الحق فقد أخطأ"[4] وهذا المعنى منحدر عن الأصل اللغوي لتحريف الكلام.

التحريف اللفظي، وهو على أقسام:

منها: التحريف بالزيادة والنقصان، وهو على ثلاثة أنحاء:

أ ـ تحريف الحروف أو الحركات: وهو باطل إذ لا يجوز تبديل حرفٌ مكان حرف ولا آية مكان آية، كما في قوله تعالى ((فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)) تحرف إلى (في صلاتهم ساهون) وكذلك قوله تعالى (إنَّ الله بريء من المشركين ورسولَه) بفتح (رسوله) فتعطف إلى المشركين وتكون حركتها الكسر (ورسولِه) وهذا باطل إذ تعطي معنى أن الله تعالى بريء من المشركين ومن الرسول – حاشا لله تعالى– أن يتبرأ من رسوله ﷺ. لذلك تغيير اللفظ له دلالات خطيرة تؤدي إلى معاني بعيدة عن المعنى المطلوب.

ب ـ تحريف الكلمات، وهو إمَّا أن يكون في أصل المصحف، وهو باطل بالإجماع، وإمَّا أن تكون زيادة لغرض الإيضاح لما عساه يشكل في فهم المراد من اللفظ، وهو جائز بالاتفاق كما في قراءة (ولهم أخ أو أخت)

ج ـ تحريف الآيات أو السور، وهو باطل بالإجماع.[6]

1 ـ التحريف بالزيادة: بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بين أيدينا ليس من الكلام المنزل، والتحريف بهذا المعنى باطلٌ بإجماع المسلمين، بل هو ممّا عُلِم بطلانه بالضرورة، لأنّه يعني أنّ بعض مابين الدفّتين ليس من القرآن، ممّا ينافي آيات التحدّي والاعجاز، كقوله تعالى: ((قُل لئنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أن يأتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)).[7]

2 ـ التحريف بالنقص: بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، بأنْ يكون قد ضاع بعض القرآن على الناس إمّا عمداً، أو نسياناً، وقد يكون هذا البعض كلمةً أو آية أو سورة، والتحريف بهذا المعنى هو موضوع البحث حيثُ ادّعى البعض وقوعه في القرآن الكريم استناداً إلى أحاديث هي بمجملها إمّا ضعيفة سنداً، أو مؤولة بوجهٍ يُخْرِجها عن إفادة ذلك، وإلاّ فهي أحاديثٌ وأخبارٌ مدسوسةٌ وباطلةٌ، قد أعرض عنها محققو المسلمين على مرّ العصور، على ما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث.

المحاضرة الرابعة:

غريب القرآن مفهومه والفائدة من وجوده ومنهج العلماء في ترتيبه.

:Fourth Lecture

The strange concept of the Qur'an, the benefit of its existence, and the method of the scholars in arranging it.

مفهوم الغريب لغة واصطلاحاً:

لغة: يقال غَرُب الكلام غرابة: غمض وخفي، فهو غريب والجمع غرباء، وهي غريبة، والجمع: غرائب ، والغريب: غير المعروف والمألوف كما في الوسيط (1).

اصطلاحا: ما احتاج إلى البيان أو إلى مزيد منه من ألفاظ القرآن الكريم أو غيره.

وليس المقصود هنا الغرابة بالمعنى الذى عده علماء البلاغة عيبا مخلا بفصاحة الكلمة ذاهبا بفصاحة وبلاغة ما يشتمل عليه من كلام ، والذى عرفوه بكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، بحيث لا ينتقل ذهن العربى الخالص العروبة إلى معناها بسهولة، أو كونها غير مأنوسة الاستعمال في المعنى المراد منها لدى خلص العرب ، بحيث يحتاج تخريج الأمر فيها إلى وجه بعيد(2)؛ لأن فصاحة الكلام فضلا عن بلاغته متوقفة لا محالة على فصاحة كل كلمة منه ،والقرآن الكريم قد انتهى من البلاغة إلى حد الإعجاز.

وفى ذلك يقول السعد التفتازانى -يرحمه الله-مدافعا عن اشتمال القرآن على كلمات غير فصيحة فيقول فمجرد اشتمال القرآن على كلام غير فصيح ، بل على كلمة غير فصيحة إنما يقود إلى نسبة الجهل أو العجز إلى الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(3).

وترتيبا على ما سبق لا يصح بحال ما رواه المتساهلون من الأخبار المؤذنة بجهالة الجماهير من الصحابة لمعانى بعض ألفاظ القرآن ، لأنهم عرب خلص ، وما كانت لتفوت الحمية العربية ولا سيما لدى أهلها أعداء الدين والقرآن فى عصره مطعنا يوجهونه إلى القرآن فى مقتل.

نعم قد يجر العجل الذى خلق منه الإنسان إلى عدم تبصر فى سياق أو تدبر فى قرينة تستوجب الحمل على مجاز، فيقع خطأ الفهم من بعضهم حتى يستبين النبى ﷺ فيبينه له ،كقصة عدى بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود(4)

هي الألفاظ التي يخفى معناها ويدق على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وضعت له.

وفي القرآن الكريم إشارات على أن غريب القرآن قد عاصر التنزيل.

وليس ذلك ببعيد ولا مستغرب فإن القرآن نزل بلهجات مختلفات، كل لهجة وفدت من بيئة مخالفة للأخرى.
فمن إشارات القرآن قوله تعالى:
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم [النحل: 44]، وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه [النحل: 64].
وهذه بعض الشواهد التاريخية على ذلك:
1 – أعرابي يسأل رسول الله ﷺ عن معنى الظلم في قوله تعالى: ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [الأنعام: 82]، ففسره النبي ﷺ بالشرك مستدلا بقوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: 13].
2 – كما سئل أبو بكر عن قوله تعالى: وفاكهة وأبا [عبس: 31]، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.
3 – وعن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات [الأنعام: 14] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها.
ولقد كان ابن عباس هذا ترجمان القرآن الكريم وصاحب مدرسة سامقة في تفسير وتأويل القرآن، فلقد توسع في تفسير غريب القرآن مستدلا عليه بديوان العرب الشعر. ومسائله مع نافع بن الأزرق معلومة مشتهرة.
* ومما يذكر في هذا المقام أن دائرة الغريب تتسع من عصر إلى عصر بسبب ضعف ملكة البيان واستعجام اللسان، كما أن الاتصال باللغة العربية لغة القرآن الكريم هذه الأيام اختصت بها طائفة من الناس، وعني بها علماء وأدباء، وبذا اتسعت دائرة غريب القرآن الكريم.
* فمسائل نافع بن الأزرق بلغت قريبا من مائتي مسألة من غريب القرآن، أما ما ورد مثلا في كتاب معاني القرآن الكريم للفراء فعدده أكثر مما ورد في مسائل نافع بن الأزرق.
* وما ورد في كتاب حسنين مخلوف (كلمات القرآن) فهو أكثر بكثير مما ورد في ذينك المصدرين.
هذا التفاوت الكبير وهذا البون الشاسع في الغريب من عصر إلى عصر مرده إلى تلك الأسباب سالفة الذكر.
انتهج علماء غريب القرآن في ترتيب الألفاظ التي انتخبوها نهجين رئيسين وهما:
الأول– وفق ترتيب الآيات في المصحف، وذلك مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لعبد الله بن يحيى بن المبارك، وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب للمارديني، والتبيان لابن الهائم وهو هذا الكتاب موضوع التحقيق.
الثاني– حسب الترتيب الهجائي، وهذا الأخير كان ذا طرائق قددا:

أ- فمنهم من راعى آخر الكلمة، فرتب على أساسه، وذلك وفق ترتيب الجوهري للصحاح ومن تبعه كابن منظور في «لسان العرب» والصّغاني في «العباب» والفيروزآبادي في «القاموس المحيط» . وقد سار على هذا النهج مُحَمَّد بن أبي بكر الرّازي، يقول حاجي خليفة عن كتابه هذا: «ورتب ترتيب الجوهري» وقد قام بتحقيقه الدكتور عبد الله عبد الرحمن بكلية الآداب بجامعة الكويت.

والمعروف أن الرازي هذا اختصر الصحاح محافظا على ترتيبه وسماه مختار الصحاح.

ب- ومنهم من لاحظ أول الكلمة، وهؤلاء لم يسيروا وفق منهج معين:

1- فمنهم من راعى جذر الكلمة مثل الهروي في كتابه الغريبين.

2- ومنهم من نظر إلى الشكل الخارجي للكلمة دون مراعاة لأصلها الاشتقاقي كالسجستاني في كتابه غريب القرآن.

وهذا الكتاب هو الذي يعنينا من بين كتب غريب القرآن لأن ابن الهائم اتخذه أساسا لكتابه التبيان.

وفيما يلي وقفة مع منهجه في ترتيب الغريب الذي أورده في كتابه.

مع السجستاني في ترتيب غريب القرآن:

المنهج الذي اتبعه السجستاني في عرض غريب القرآن أنه رتب الألفاظ القرآنية ترتيبا هجائيّا وفق الشكل الخارجي للكلمة دون مراعاة للأصل الاشتقاقي، فمثلا:

تُدْهِنُ ورد في التاء وفَيُدْهِنُونَ في حرف الياء. ومراعاة الأصل الاشتقاقي يقتضي أن يكونا في حرف الدال (دهن) .

ثم قسم كل حرف إلى ثلاثة أقسام: المفتوح يليه المضموم وينتهي بالمكسور، ففي باب الكاف المفتوحة مثلا يضع كَبُرَ (الصف 3) ويضع الْكُبَرِ (المدثر/ 35) في باب الكاف المضمومة ويضع كِبْرٌ (غافر 56) في باب الكاف المكسورة، ثم يرتب كل صنف (المفتوح والمضموم والمكسور) وفق ترتيبه في المصحف، فما يبدأ مثلا بالراء المكسورة في سورة آل عمران يسبق ما يبدأ بالراء المكسورة في سورة النساء، وما يرد في الآية العشرين مثلا بإحدى السور يسبق ما يرد في الثلاثين من السورة نفسها.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
UNIVERSITY OF ANBAR
كلية التربية /القائم
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

المادة : علوم القرآن
المرحلة : الثانية
مدرس المادة: الدكتور عبدالجبار حميد

محاضرات الكورس الثاني
للعام الدراسي2020/2019

المحاضرة الخامسة: الوجوه والنظائر

The Fifth Lecture: Faces and Isotopes

تمهيد:

أهمية هذا العلم.

فإن علم الوجوه والنظائر من العلوم الهامة التي لا غنى للمفسر عنها كي يفهم مراد الله تعالى في كتابه ، وقد تتابع فيها التدوين منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا ، وأفردت بالمؤلفات في كثير من الأحيان ، وهذا يبين اهتمام السلف بهذا الباب العظيم من أبواب علوم القرآن الكريم.

تعريف الوجوه والنظائر :

أولاً : تعريف الوجوه لغةً واصطلاحاً :

تعريف الوجوه في اللغة :

قال صاحب تاج العروس(1) : الوَجْهُ : (مُسْتَقْبَلُ كلِّ شيءٍ) ؛) ومنه قَوْلُه تعالى : فأَيْنَما تُوَلُّوا فثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ، جمعه : (وُجُوهٌ) ؛) ومنه قَوْلُه تعالى : فامْسَحُوا بوُجُوهِكُم .

وقال ابن فارس(2) : الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيء. والوجه مستقبِلٌ لكلِّ شيء. يقال وَجْه الرّجلِ وغَيره . وفي الحديث ((فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةً كَوُجُوهِ الْبَقَرِ لاَ تَدْرُونَ أَيًّا مِنْ أَيٍّ))(3) أي يشبه بعضها بعضًا؛ لأن وجوه البقر تتشابه كثيرًا.

تعريف الوجوه في الاصطلاح :

قال الزركشي في البرهان : الوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة(4) .

إذ أن لفظ (أمه) جاءت في القرآن بمعنى الطائفة من الناس وهو الغالب ، وبمعنى المدة ، وبمعنى الدين ، وبمعنى الإمام في الخير.

واللفظ المشترك أو المشترك اللفظي ، قال السيوطي: هو اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة(5) . مثل : كلمة (قسورة) بمعنى : الأسد والرامي ، وكلمة (قرء) بمعنى : حيض وطهر . والمتأمل لما في كتب الوجوه والنظائر ، يجد أن ليس كل ما فيها من الألفاظ المشتركة المعلومة في اللسان العربي ، وذلك لأن المعتمد في معنى الكلمة عند المفسرين ليس اللغة ومادة الكلمة واشتقاقها اللغوي

فحسب ، إنما هناك أمور أخرى تؤخذ بعين الاعتبار اعتمدها المفسرون في توجيه معنى اللفظ الواحد . وهذا هو ما يبين الفرق بين " الألفاظ المشتركة " وبين " الوجوه والنظائر " فالوجوه والنظائر أعم من المشترك اللفظي .

ثانياً تعريف النظائر لغةً واصطلاحاً:

تعريف النظائر في اللغة :

قال ابن منظور : والنَّظائِرُ جمع نَظِيرة وهي المِثْلُ والشِّبْهُ في الأَشكال الأَخلاق والأَفعال والأَقوال.(1) يقال: فلان نظير فلان ، إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء .(2)

ومن ذلك قول ابن مسعود: ((لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ))(3) ، يريد السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص، لا المتماثلة في عدد الآي.

تعريف النظائر في الاصطلاح :

قال الزركشي : النظائر : كالألفاظ المتواطئة (4) .

ومعنى الألفاظ المتواطئة هي : أن يوجد اللفظ له معنى واحد ، وهذا المعنى له أفراد كثيرون.

مثل : كلمة (إنسان) ، فإنها تصدق على زيد ، وعلي ، وصالح ، وناصر ....

يعني مصطلح "الوجوه والنظائر" أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع متفرقة من القرآن العظيم على لفظ واحد وحركة واحدة، ولكن يراد بها في كل مكان ذكرت فيه معنى يخالف معناها في المكان الآخر.

فكل كلمة ذكرت في موضع وذكر نظيرها في موضع آخر هو ما يعرف أو يسمى بالنظائر.

أما تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة فهو ما يعرف أو ما يسمى بالوجوه.

وبناءً على هذا، يكون المراد بالنظائر إنما هو اسم للألفاظ، ويكون المراد بالوجوه إنما هو اسم للمعاني.

الفرق بين الوجوه والنظائر :

عند تأمل التعريف الاصطلاحي لكلٍ من الوجوه والنظائر ، سنجد أن الوجوه تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق المختلفة في المعنى ، أما النظائر فهي تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق والمعنى معاً ولكن هذا المعنى يصلح لأفراد كثيرة .

وقد قيل: إن النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني ، ولكن ضعف هذا القول ورده الزركشي والسيوطي.

قال الزركشي : لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي

معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعا لأقسام والنظائر نوعا آخر كالأمثال(5).

الوجوه والنظائر اصطلاحًا:

حينما تعرضنا للمدلول اللغوي وجدنا أن علماء من تكلم في الوجوه والنظائر قد جعلوا لهذه الألفاظ معاني اصطلاحية فيما بينهم، وجعلوها أسماء لكتبهم. وكان أول من عرّف الوجوه والنظائر ابن الجوزي في كتابه ((نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)) حيث قال: "واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى، هذا ما يسمى ((الوجوه))، أما النظائر ((فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه اسمًا للمعاني، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر))".

وهذا التعريف لم يسلم من نقد ((الزركشي)) و((السيوطي))، وهما من أبرز من كتب في الدراسات القرآنية، أما الزركشي فبعد أن عرّف الوجوه والنظائر بقوله: "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ ((الأمة))، والنظائر كالألفاظ المتواطئة".

قال: "وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وُضّعِفَ؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعًا لأقسام والنظائر نوعًا آخر كالأمثال".

وكذلك السيوطي اقتفى أثر صاحب ((البرهان)) في نقده لتعريف ((ابن الجوزي)) وانتهى إلى تعريفه بقوله: "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ ((الأمة))...".

أما صاحب ((كشف الظنون)) فلم يتقبل نقد ((الزركشي)) و((السيوطي)) بل أيّد ابن الجوزي فيما ذهب إليه، فقال: ".. ومعناه أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذًا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني".

ومن ذلك السوء يأتي على أوجه

1 – الشدة : (يسومونكم سوء العذاب)

2 – والعقر : (ولا تمسوها بسوء)

3 – والزنى : (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ما كان أبوك امرأ سوء)

وأقول: إن العلماء في هذا المجال يذكرون الكلمة الواحدة، ثم يذكرون معانيها المتعددة، ويستدلون على كل معنى بالآيات القرآنية، مما يدل على أن الوجوه للمعاني، إذ يشيرون إلى الكلمة، ويقولون.. وفيها سبعة عشر وجهًا.. وفيها أربعة وجوه.. وهكذا نجد أنهم يريدون بهذا الوجه معنى يختلف قربًا وبعدًا عن معنى آخر مرادًا من آية أخرى.. والله أعلم.

*** فائدة الاطلاع على الوجوه والنظائر في القرآن الكريم:**

قال السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن:

" وقد أخرج ابن عساكر من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها.

قال حماد:

فقلت لأيوب: قوله " حتى ترى للقرآن وجوها " أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه قال: نعم هو هذا"

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

المحاضرة السادسة:

أمثلة على الوجوه والنظائر في القرآن

Sixth Lecture

:Examples of faces and isotopes in the Qur'an

أولاً : الوجوه .

قال الإمام السيوطي(1) : ومن ذلك السوء يأتي على أوجه

1 – الشدة : (يسومونكم سوء العذاب)

2 – والعقر : (ولا تمسوها بسوء)

3 – والزنى : (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ما كان أبوك امرأ سوء)

4 – والبرص : (بيضاء من غير سوء)

5 – والعذاب : (إن الخزي اليوم والسوء)

ثانياً : مثال على النظائر في القرآن :

لفظه (قرية) حيث تكررت في القرآن في أكثر من خمسين موضعاً ، وفي كل هذه المواضع معنى القرية واحد فقط، لكن المراد منها يختلف، فمثلا في قوله تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً) القرية هنا: أريحا، أو القدس.

وفي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) القرية هنا: مكة .وفي قوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) القرية هنا: مصر. فمعنى القرية في كل هذه المواضع واحد، لكن المراد منها يختلف في كل موضع عن الآخر.

الأفراد :

الأفراد : في اللغة جمع فرد ، وهو الذي لا نظير له . وفي الاصطلاح : هي الألفاظ التي لا نظير لها ، فهي متوحدة فيما تدل عليه من معنى . بعكس الألفاظ ذات المعاني المتعددة الوجوه (2).

وقد ألف فيه ابن فارس كتاباً ، ظريفاً صغيراً سماه الأفراد : والكتاب مطبوع بتحقيق حاتم صالح الضامن ، طبعته دار البشائر بدمشق .

قال ابن فارس (3) :

كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا(فلما آسفونا) فمعناه أغضبونا

وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا (ولو كنتم في بروج مشيدة)فهي القصور الطوال الحصينة

وكل ما فيه من ذكر البر والبحر فالمراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس إلا (ظهر الفساد في البر والبحر) فالمراد به البرية والعمران

وكل ما فيه من بخس فهو النقص إلا (وشروه بثمن بخس) أي حرام

وكل ما فيه من البعل فهو الزوج إلا (أتدعون بعلا) فهو الصنم

نشأة وتطور وتدوين علم الوجوه والنظائر :

اعتنى العلماء المتخصصون بعلوم القرآن الكريم بهذا الجانب عناية خاصة، وذلك لأهميته ، إذ به تتسع قاعدة المفاهيم الإسلامية، وتصل إلى البعيد والقريب، والعالي والداني.

فكتب فيه العلماء منذ بداية القرن الثاني الهجري، فمن أول من صنّف فيه:

عكرمة مولى ابن عباس (ت 105هـ) ، وعلي ابن أبي طلحة (ت 143هـ) ، ومقاتل بن سليمان (ت 150) في كتابه : (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وقد قيل إنه أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم ، وألف فيه هارون بن موسى الأعور (ت 170هـ) كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ويحيى بن سلام (ت 200هـ) كتابه : (التصاريف) ، وفي القرن الثالث ألف الحكيم الترمذي (ت 255هـ) كتابه : (تحصيل نظائر القرآن) ، وألف مُحَمَّد بن يزيد أبو عباس المبرد (ت 286هـ) كتابه : ((ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) ، وفي القرن الخامس ألف الحسين الدمغاني (ت 478هـ) كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ، وألف أبو منصور الثعالبي

(ت 429هـ) كتاباً أسماه:(الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها) وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي (ت 597هـ) كتاباً اطلق عليه اسم : (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ، وفي القرن السابع ألف أبو العباس أحمد بن علي المقرئ

(ت 658هـ) كتابه (وجوه القرآن) ، وفي القرن التاسع ألف أبو العماد المصري (ت 887هـ) كتابه :(كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر) ، وفي القرن العاشر جاء الإمام السيوطي فألف فيه كتابه :

(معترك الأقران في مشترك القرآن) وهو مطبوع بعنوان : (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

ثم اهتم المتأخرون بهذا العلم ، فكانت هناك دراسات قيمة مثل : رسالة دكتوراه سليمان بن صالح القرعاوي بعنوان:(الوجوه والنظائر في القرآن دراسة وموازنة) من جامعة الإمام ،وطبعت عام 1410 هـ

وللدكتور مُحَمَّد علي الحسن بحث نشره في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ، العدد السابع 1993م ، بعنوان : (نحو موسوعة إسلامية في الوجوه والنظائر القرآنية) ، وضع فيه تصوراً مقترحاً للوجوه والألفاظ القرآنية ، تيسر على الباحثين سبل البحث للوصول إلى المعاني المنشودة .

وللباحثة سلوى بنت مُحَمَّد بن سليم العوا رسالة ماجستير ، بعنوان : (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ، من جامعة عين شمس ، طبعت عام 1998م .

وهناك بحث مفيد للدكتور / أحمد مُحَمَّد البريدي ، بعنوان (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة تأصيلية) .

هذا ما يسر الله تعالى لنا، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وجعلنا جميعاً هداةً مهتدين إنه سميع قريب مجيب .

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

المحاضرة السابعة

مفهوم المناسبات في القرآن الكريم وأهميتها وآراء العلماء فيها.

The seventh lecture

The concept of events in the Holy Quran, its importance and the opinions of scholars on it.

المناسبة في اللغة: هي المقاربة والمشاكلة. يقال : فلان يناسب فلاناً ، أي يقاربه ويشاكله. ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بغيره ، كالأخ وابن العم.

وفي الاصطلاح : هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن. [نظم الدرر للبقاعي 6/1]

وتعرف أيضاً بأنها: علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولُنا: (أجزاء القرآن) شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.

أهميته :

علم المناسبات علم جليل القدر وقد نبه إلى أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط». وقال السيوطي في معترك الأقران: «علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته».

وقال البقاعي في نظم الدرر: «وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو».

وقال العز بن عبدالسلام فيه :«المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره».

قال الفخر الرازي:

"علم المناسبات علمٌ عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".

- وقال الزركشي:

"وقال بعض مشايخنا المحققين: وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبةٌ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبةً سوره كلها و آياته بالتوقيف"[4].

- وفي معترك الأقران للسيوطي:

إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً ويظهر أخرى. [52/1].

- وقال السيوطي: علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته[5].

- وقال الشيخ مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني:

إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكةٌ واحدةٌ ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقةٌ مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره[6].

*** أراء بعض العلماء في علم المناسبة:**

لا شك أنَّ علم المناسبات علم جليل ، وبابه واسع، متفق عليه بين علماء المسلمين لما له من أهمية كبيرة لمعرفة ترابط الآيات والسور، ولكن مع ذلك الاتفاق وُجِدتْ نصوص لبعض من العلماء توهم بالمعارضة، إذ قالوا بأنه علم متكلف ، ولا يطلب للآية الكريمة مناسبة لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث. ومنهم :

1- ولي الدين الملوي ، ذكره السيوطي في معترك الأقران.

2- العز بن عبدالسلام حيث شرط للقول بالمناسبة أن يقع الكلام في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لايقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

3- الإمام الشوكاني رحمه الله حيث قال في تفسيره فتح القدير عند تفسيره للآية رقم 42 من سورة البقرة: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن

لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره».

والكلام طويل فليراجع.

الخلاصة في هذه الآراء:

إن الشيخ ولي الدين الملّوي لم يعارض علم المناسبة ولم ينكره بل على العكس من ذلك ولعل سبب نسبة هذا القول إليه هو بتر كلامه فهو يقول كما نقله عنه السيوطي في الاتقان 323/3 وقال الشيخ ولي الدين الملوي : قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة .... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شي عن كونها مكملة لما قبلها أو متقلة ثم المتقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له .

الشوكاني لم يعارض علم المناسبة ولم ينكره ,وإنما ينكر التكلف والتزام المناسبة في كل موضع ؛ والدليل على ذلك وجوده في تفسيره , فالناظر فيه يجد ذكره لكثير من المناسبات .

وكذا العز بن عبد السلام فإنه لم ينكر ذلك وإنما انكر التزام ذلك في كل موضع وبتأمل كلامه يتضح ذلك .

وهذا هو الحق لأنَّ التزام ذلك مدعاة للتكلف ولهذا يذكر بعض المفسرين مناسبات , يتضح لك ضعفها عند ادنى تأمل .والله اعلم

*** قاعدة في طريقة معرفة المناسبة :**

الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغةُ شفاءَ الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها.

فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية ، في كل سورة سورة.

كيفية التعرف على التناسب والربط بين السور والآيات، وبيان أسبابه :

كيف تتم معرفة مناسبات الآيات والسور:

معرفة المناسبة و ارتباط السور والآيات بعضها ببعضٍ يتم من خلال الاعتبارات التالية:

1- قد يكون الارتباط ظاهراً:

2- قد لا يكون الارتباط ظاهراً، بل يبدو لأول وهلةٍ أن كل آية أو جملة مستقلةٍ عن الأخرى، وهاهنا :

- إما أن تكون معطوفةٌ على الأولى بحرفٍ من حروف العطف المشتركة في الحكم، ويندرج في هذا ما يسمى ربط التضاد أو المقابلة، كأن يذكر نوعين متضادين، كذكر المؤمنين والكافرين، والخير والشر، والعلم والجهل، والظلمات والنور، وطريق الهداية وطريق الغواية، ومصير الكافرين ومصير الأتقياء المؤمنين، والظلم والعدل، والبخل و الإنفاق، والطيب والخبيث، وهذا كثير جداً في القرآن الكريم .

- وإما أن لا تكون معطوفة، فلا بد من قرينةٍ معنويةٍ تؤذن بالربط ومن ذلك إلحاق النظير بالنظير، كما في قوله تعالى: {كما أخرجك ربك من بيتك بالحق} في سورة الأنفال، فكراهيتهم لما فعله عليه الصلاة والسلام في قسمة الغنائم، ككراهيتهم للخروج للقتال .

ومنه أيضاً : الاستطراد، وهذا يلاحظ في كثير من سور القرآن فإذا تحدث عن قصة آدم يستطرد لما يتبع ذلك من أمور[15] وكذلك في الحديث عن عصيان إبليس لربه، أو ذكر قصص الأنبياء وهكذا .

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

المحاضرة الثامنة

فوائد علم المناسبات وأنواعه.

The eighth lecture

.Benefits and types of events science

أولاً: فوائد علم المناسبات:

لهذا العلم فوائد، ومن أهمها:

1- أنه يزيل الشك الحاصل في القلب بسبب عدم التأمل في دقة النظم وإحكام الترتيب، وقد تقدم كلام البقاعي في هذه القضية(9).

2 - أنه يفيد في معرفة أسرار التشريع وحِكَم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا قرأت قوله تعالى .: ((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)) [{النور: 30]} وتعرفت على المناسبة بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزلَّ قدمه في الآثام.

3- أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك: خلاف المفسرين في معنى قوله . تعالى . : ((والصافات صفا)) [الصافات: 1]}، فقال قوم: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور، وقال آخرون: هي الطير، والصحيح الأول؛ وذلك لأنا لو بحثنا عن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها لوجدناه ذكر في الخاتمة في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم: ((وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون)) [الصافات: 165، 166]}.

4- وبه يتبين لك سر التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى(10).

ثانيا: أنواع المناسبات.

للمناسبات في القرآن ثلاثة أنواع:

الأول: المناسبات في السورة الواحدة.

الثاني: المناسبات بين السورتين.

الثالث: مناسبات عامة.

ولكل نوع من هذه الأنواع أقسام كثيرة وسنقتصر في هذه العجالة على بعضٍ منها، مما يتضح به المقصود وينفتح به الباب للطالب الراغب.

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة، ويتضمن أقساماً، ومنها:

أولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:

مثاله: قوله ـ تعالى ـ: في أول سورة البقرة: ((الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)) [البقرة: 3]}، ثم قال في آخر السورة: ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...))[البقرة: 285] فهو في أول السورة يذكر صفات المتقين التي يتميزون بها وفي آخر السورة يبين أن الرسول ﷺ والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصفات وتحلوا بها.

مثال آخر: في سورة (المؤمنون) افتتح السورة بذكر فلاح المؤمنين ((قد أفلح المؤمنون)) [{المؤمنون: 1]}، واختتمها بنفي فلاح الكافرين ((ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)) [المؤمنون: 117]}.

ثانياً: المناسبة بين الآية والتي تليها:

مثاله: قوله ـ تعالى ـ: إياك نعبد وإياك نستعين {الفاتحة: 5} فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله ـ تعالى ـ لكل المحامد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا لله.. كان من شأن كل عاقل أن يُقبِل على مَنْ هذه صفاته وتلك عظمته معترفاً بالعبودية له والذل الكامل لجنابه العظيم ملتجئاً إليه طالباً منه العون والمدد، ثم إنه لما حمد وأثنى ومجّد واعترف بالعبودية ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان، فيقول: ((اهدنا الصراط المستقيم)) [{الفاتحة: 6].

ثالثاً: المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية:

وذلك كما في آيات الاستئذان حين أعقبها بالأمر بغض البصر؛ فإن الاستئذان إنما جعل من أجل أن لا يقع بصر المستأذن على عورة، ولو صادف أن وقع فإن على المستأذن أن يغض البصر، ثم إن العلاقة بين الحكمين بيّنة؛ إذ فيهما ذكر ما تكون به العفة وحفظ العورات في المجتمع المسلم.

والمناسبة بين الأمر بحفظ الفرج والأمر بغض البصر تقدمت ـ فيما سبق في الفوائد، وهما حكمان في آية واحدة.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

مثاله: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية، وفتنة الجلساء في قوله:((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي...)) [{الكهف: 28]}، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن، وقد قال رسول الله ﷺ : "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"(15).

النوع الثاني: المناسبات بين السورتين: ويتضمن أقساماً منها:

أولاً: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها:

مثاله: في آخر سورة الإسراء قال تعالى: ((وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا...)) [{الإسراء: 111]}، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا...)) [{الكهف: 1]}.

مثال آخر: في آخر سورة الطور قال: ((ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)) [{الطور: 49]}، وفي أول سورة النجم قال: ((والنجم إذا هوى)) [{النجم: 1]}.

ثانياً: المناسبة بين مضمون السورة والتي تليها:

مثاله: في سورة الضحى ذكرٌ للنعم الحسية على رسول الله ﷺ ، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية عليه.

مثال آخر: في سورة البقرة ذكر للطوائف الثلاث: المنعم عليهم ويمثلهم المسلمون، والمغضوب عليهم ويمثلهم اليهود، والضالون ويمثلهم النصارى. وقد ذكر في سورة البقرة الطائفتين الأوليين بما هو ظاهر، وفي سورة آل عمران ذكر الطائفة الثالثة فيما يزيد على "120" آية من أولها.

النوع الثالث: مناسبات عامة:

وهي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن وهي كثيرة جداً أذكر منها نموذجاً للبيان.

– افتُتحت سورتان بقوله: يا أيها الناس وهما: سورتا النساء، والحج، وذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)) [{النساء: 1]}، وفي سورة الحج ذكر لنهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم إن

زلزلة الساعة شيء عظيم)) [{الحج: 1]}.

شبهة وجوابها:

قد يقول قائل: كيف تطلب المناسبات بين الآيات والسور علماً بأنها نزلت مفرقة كل واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضية مغايرة لمضمون ما جاورها؟

وقد أجاب عن هذا التساؤل الزركشي فيما نقله عن بعض مشايخه المحققين فقال: "قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة؛ وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف"(16).

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

المحاضرة التاسعة

أمثلة على وجوه المناسبة بين السور

The ninth lecture
Examples of appropriate faces between the fence

التناسب بين السور[17]:

– وجه المناسبة بين سورة الفاتحة وأول سورة البقرة :

أرشد الله تعالى عباده في سورة الفاتحة إلى أن يسألوه الهداية، بقوله: {اهدنا الصراط المستقيم} فاستجاب لهم سبحانه فقال: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} ، فهذا القرآن هو طريقة الهداية الكبرى .

– وجه المناسبة بين آخر سورة البقرة وأول سورة آل عمران :

ختمت السورة المتقدمة على سؤال النصر : {وانصرنا على القوم الكافرين}، وفي مفتتح هذه السورة بيّن نصرتهم على الكفار باللسان والسنان .

ووجه آخر للربط بين السور الثلاث (الفاتحة – البقرة – آل عمران)، قال تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فالذين أنعم الله عليهم هم المؤمنون، والذين غضب الله عليهم هم اليهود ولذلك فقد كان الحديث عنهم وخطابهم أكثر في سورة البقرة، والضالون هم النصارى فكثر خطابهم في سورة آل عمران.

– وجه الترابط بين آخر سورة آل عمران و أول سورة النساء :

أن كليهما مشترك في الأمر بالتقوى، إذ انتهت سورة آل عمران على قوله تعالى: {واتقوا الله لعلكم تفلحون} وابتدأت سورة النساء بقوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم}.

ولما كثر ذكر الجهاد في السورتين السابقتين، ذكر في هذه السورة مسألةً هامةً لا يتحقق الجهاد بدونها، هذه المسألة تتعلق بالعدالة الاجتماعية وهي إنصاف المرأة وإعطاؤها حقها ورعاية حقوق اليتامى و الأرامل والمساكين والرأفة بهم والعطف عليهم وعدم ظلمهم، إذ الجهاد المشروع والنتيجة المرجوة منه لا يتحقق ما لم يكن المسلمون يداً واحدةً على العدو .

– وجه التناسب بين آخر سورة الأعراف وأول سورة الأنفال :

ختمت السورة المتقدمة بذكر الله في كل حال : {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين} ، وبدأت سورة الأنفال بترك الانشغال بحطام الدنيا والسؤال عن الغنائم: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}.

– وجه الارتباط بين آخر سورة الحجر وأول سورة النحل :

قال تعالى في آخر سورة الحجر: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}. وقال في أول سورة النحل: {أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه} أي ما دام أن أمر الله تعالى آتٍ فلا يضيق صدرك بما يقولون، فالذي خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان من نطفةٍ ينزل الملائكة بالروح على من يشاء من عباده فهو الذي يصطفى الرسل .

– وجه التناسب بين آخر سورة الواقعة وأول سورة الحديد :

قال تعالى في آخر سورة الواقعة: {فسبح باسم ربك العظيم} ، وقال في أول سورة الحديد: {سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} فالمناسبة والارتباط ظاهر .

– وجه التناسب بين آخر سورة التحريم و أول سورة تبارك :

لما ثبت في السورة المتقدمة (التحريم) أن نوحاً ولوطاً عليهما السلام مع كونهما من الأنبياء لم يستطيعا أن ينقذا أزواجهما من النار، ولم يباركا فيهما.

وأن فرعون رغم جبروته وسعة ملكه وقوة سطوته لم يستطع أن يخضع زوجته ويجعلها تابعةً لكفره وشركه فقد باركها الله، و أن مريم بنت عمران باركها الله واصطفاها على نساء العالمين، فثبت أن البركة كلها إنما هي بيد الله عز وجل لا يشاركه فيها أحد، ف {تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير}.

التناسب بين السور من القارعة إلى الناس :

ذكر في سورة القارعة أحوال الساعة وشدائدها، وبعد ذكر هذه الشدائد الآتية في الساعة كان لكم أن تعتبروا وتتعظوا وتعملوا الصالحات ولكن (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) .

وبعد بذل الجهد في التكاثر، فإن حصل لأحد مال كثير يزعم أنه فاز كلا {والعصر ، إن الإنسان لفي خسر}، فالفائزون هم المؤمنون الذين {وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.

أما المكتنزون مالاً ف {ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده} فلو كان المال يغني عن أحد لأغنى عن أصحاب

الفيل {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل} وبعد ذكر ما أحله الله بأصحاب الفيل، فهذه نعمةٌ من الله على أهل قريش {لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف}.

ومن أنعم الله عليه إذ أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف، عليه أن ينفق في سبيل الله ويرعى اليتيم ويحض على طعام المسكين ولكنهم كذبوا بالدين، {أرأيت الذي يكذب بالدين} وهذا شأن كفار قريش و أما النبي r فقد كان يصل الرحم وينصر المظلوم ويعين على نوائب الحق ف {إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر}.

فاقطع موالاتهم و {قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون}.

وهذا أوان تمام دينك وكماله وقد جاء الحق وزهق الباطل {إذا جاء نصر الله والفتح} فقد حان وقت ارتحالك من الدنيا {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}.

وإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فقد ثبت أن {تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب}.

فأعلن ما جئت به {قل هو الله أحد، الله الصمد}.

و {قل أعوذ برب الفلق} و {قل أعوذ برب الناس}.

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
UNIVERSITY OF ANBAR
كلية التربية /القائم
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

المادة : علوم القرآن
المرحلة : الثانية
مدرس المادة: الدكتور عبدالجبار حميد

محاضرات الكورس الثاني
للعام الدراسي2020/2019

المحاضرة العاشرة

الترجمة مفهومها وأقسامها

The tenth lecture
Translation, its concept and sections

تنقسم الترجمة إلى قسمين رئيسين هما : الترجمة الحرفية و الترجمة المعنوية، وهناك من يجعلهما ثلاثة ويضيف إليها التفسيرية مع أن بعض العلماء جعل الترجمة المعنوية هي التفسيرية، وبعض جعل التفسيرية هي الأصل والمعنوية تبع لها ويقولان هما بمعنى واحد.

أولا – الترجمة الحرفية : هي نقل ألفاظ من لغة إلى ما يماثلها في لغة أخرى مع الاتفاق التام بين النظم و التركيب و الوضع .

فالمترجم يعمد إلى النص الأصلي فيقرأه ثم يستبدل كل كلمة منه بكلمة أخرى تفيد المعنى نفسه من لغة الترجمة و يضعها مكان اللفظة الأولى مع المحافظة على تركيب الجملة و الأسلوب الذي صيغ به لغة النص الأصلي ، ولو أدى ذلك إلى اختفاء المعنى المراد بسبب اختلاف اللغتين في موقع الاستعمال .

فالجملة الفعلية في اللغة العربية تبدأ بالفعل ثم الفاعل ، و المضاف مقدم على المضاف إليه ، و الموصوف مقدم على الصفة و هكذا .

فالتعبير العربي يحمل في ألفاظه من أسرار اللغة ما يمكن أن يحل محله تعبير آخر بلغة أخرى ، فإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلا عن التراكيب .

و بالإضافة إلى ما ذكر فإن أهل العلم يشترطون للترجمة الحرفية توفر أمرين هما :

أ – وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية للغة الأصل .

ب – تشابه اللغتين في الضمائر و الروابط التي تربط المفردات بعضها ببعض .

و علينا أن نلاحظ استحالة توفر هذين الشرطين في أي لغين ، فإذا كان هذا الحكم عاماً فلأن يتناول القرآن الكريم من باب أولى و ذلك لسببين هما :

1- إن القرآن الكريم بلغته المعجزة في نظمه و ترتيبه و أدائه المتحدى به كل الأنس و الجن مجتمعين و

متفرقين حتى أن فصحاء العرب و فصحاؤهم عجزوا عن مضارعته و هم أهل اللغة و أربابها ، فكيف إذاً في حال ترجمة ألفاظ القرآن من لغته المعجزة المتحدى بها إلى لغة أخرى !!

2- القرآن الكريم في غايته و مقصده إنما يرمي إلى هداية الناس صلاحهم و هذا لا يتأتى إلا بتفهم أحكامها من لغته الأصلية .

ثانياً : الترجمة التفسيرية :

هي التي لا تراعى فيها المحاكاة المطلوبة في الترجمة الحرفية أي محاكاة الأصل في نظمه و ترتيبه ، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني و الأغراض كاملة ، لذلك يسميها البعض بالترجمة المعنوية إذ تعني شرح الكلام و بيان معناه بلغة أخرى بحيث يؤدي الغرض الذي سيق له أصلاً.

و قد أشار بعض أهل العلم إلى الشروط التي لابد من توفرها حتى تعتبر الترجمة التفسيرية مقبولة و التي منها:

1- أن تكون الترجمة على شاكلة التفسير لا يعتمد عليها إلا إذا كانت مستمدة من الأحاديث النبوية الشريفة و علوم اللغة العربية و باقي الأصول المعتمدة في الشريعة الإسلامية .

2- أن يكون المترجم على عقيدة أهل السنة و الجماعة وفق منهاج السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – محصنا من البدع و العقائد الضالة المضلة .

3- أن يكون المترجم عالماً بالغتين خبيراً بأسرارهما بشكل عميق .

4- أن يكتب القرآن أولا ، ثم يأتي بتفسيره ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن .

فإذا ما توفرت هذه الشروط فربما تكون الترجمة التفسيرية خالية من أي نقد أو عيب يمكن أن يمس جوهر القرآن الكريم و أحكامه و آدابه و تعاليمه الربانية السامية .

شروط جواز الترجمة:

يشترط لجواز ذلك شروط :-

الأول : أن لا تجعل بديلا عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه, وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة لتكون كالتفسير له.

الثاني : أن يكون المترجم عالما بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث : أن يكون عالما بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن.

الرابع : أن يكون موثوقا.ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون.

ولا تقبل الترجمة القرآن الكريم إلا من مأمون عليها, بحيث يكون مسلما مستيقما في دينه. فالشروط الأولى لحكم الترجمة إذا أراد الإنسان أن يترجم هي ثلاثة.

أولاً: الترجمة الحرفية:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها وهي:

أ- وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بازاء حروف اللغة المترجم منها.

ب- وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها.

ج- تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحققها في بعض آية، أو نحوها، ولكنها وإن أمكن تحققها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله، ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين، ولا ضرورة تدعو إليها؛ للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية.

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حسا في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعا، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها، من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس.

وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية، لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الترجمة المعنوية:

فهي جائزة في الأصل لأنه لا محذور وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين العربية, لأن إبلاغ ذلك واجب. وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.

إلى لقاء آخر في محاضرات قادمة بإذنه تعالى.